الهوة الرقمية: الانترنت تسير في اللامساواة العالمية

□ أعد البروفسور يان ستييارت من جامعة «فونتيز» في هولندا، دراسة عن الهوة الرقمية وتأثيراتها، مساهمةً منه في كتاب مشترك يصدر قريباً. وكانت «الحياة» التقته – إلكترونياً – إثر إلغاء «ندوة الإنترنت العالمية» التي كانت ستعقد في لندن أواسط تشرين الثاني(نوفمبر) الماضي، وكان من المفترض أن يفتتحها هو بكلمة عن «المجتمع الإلكتروني».

ستييارت: الفجوة الرقمية متعددة الابعاد.

الفارق المزدوج بين "من يملك و... يعرف" و"من لا يملك و... لايعرف".

■ في وقت تتبلور معالم مجتمع المعلومات وتتّضح، تشكّل «الهوة الرقمية» واحدة من أبرز القضايا المطروحة في مجال المساواة الاجتماعية. ويتركّز الخوف على احتمال نشوء انقسام بين من هم متّصلون بالإنترنت ومن هم غير متّصلين بها. وبالنسبة إلى البعض، تتعدّى الهوة الرقمية مسألة الحصول على معلومات إلى تأثيرات إتاحتها في الملامح القائمة والمستجدّة للتفرقة الاجتماعية.

ليس الجميع متساوين

ثمة اهتمام كبير بكون الهوة الرقمية تمهّد لنشوء تفرقة اجتماعية جديدة على المستويين الوطني (المحلي أو الداخلي) والعالمي. وعلى رغم أن الجدال الدائر على النفاذ إلى الإنترنت يركّز في معظمه على الفروقات المحلية (ضمن البلد الواحد)، تشكّل الفروقات على المستوى العالمي ظاهرة استثنائية فريدة من نوعها. ولعلّ المؤشر الأبرز إلى مرارة الواقع يتمثّل في أن دليل الهاتف للقارة الأفريقية بأسرها أقل «سماكة» من دليل الهاتف لجزيرة مانهاتن (في نيويورك). وبينما لم يطرأ أي تحسّن على حال الهواتف، تبدو حال النفاذ إلى الإنترنت أشد سوءاً. وبالتالي، فإن أجزاء كاملة من العالم معرّضة للاستبعاد الكلي. وفي عام ١٩٩٨، قدّم الخبير الاقتصادي مانويل كاستيلز، من جامعة كاليفورنيا، مبدأ «التمييز التكنولوجي» tech-nological apartheid، إشارةً إلى عملية فصل بلدان ومناطق فقيرة برمّتها عن الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية في العالم.

وفي ظل التزايد المطّرد لعدد مستخدمي الإنترنت، تشير الدراسات المتوافرة إلى أن انتشار إمكانات النفاذ وأساليبه ليس متساوياً في كل الطبقات السكانية. وثمة اختلاف كبير في نوعية المعلومات المتوافرة ومستوى التحليل. فالدراسات المنفّذة على أساس تجاري لا تُعنى كثيراً بخلفيات عيّنات الأشخاص الخاضعين لها. وبالتالي، لكي نحصل على تحليل معمّق لملامح انتشار الإنترنت، لا يبقى أمامنا إلاّ حفنة دراسات شاملة نعوّل عليها. وأهم تلك الدراسات اثنتان. الأولى نفّذتها، عام ١٩٩٩، دائرة الاتصالات والإعلام التابعة لوزارة التجارة الأميركية (http:// www.ntia.doc.gov). والثانية نفّذها، عام ٢٠٠٠، مكتب التخطيط الاجتماعي والثقافي في هولندا (http://www.scp.nl).

ويشير كلّ من الدراستين إلى أن ملامح انتشار الإنترنت تتبع الصدوع (أو خطوط الانقسام) في الطبقات والعناصر الاجتماعية (كالجنس والثقافة والعمر والدخل، إلخ...). وعلى سبيل المثال، تنتشر الإنترنت بين الرجال أكثر من انتشارها بين النساء، وبين الشباب أكثر مما بين الكبار، وفي المدن أكثر مما في الأرياف، وهكذا دواليك. أما لدى ذوي الدخل المرتفع فلوحظ تقارب بين مستويات اللامساواة.

ومن هذه الطفرة في البيانات السريعة التغيّر، يتبيّن لنا أن الهوة الرقمية لا تسبّب صدوعاً جديدة في المجتمع، لكنها تعيد استنساخ الطبقات والشرائح الاجتماعية القائمة.

بعض الأفكار النقدية

لمناقشة مسألة الهوة الرقمية بروية، في ظل تفاقم القلق حيالها وعقد النية على معالجتها سريعاً وبعمق، ينبغي إدخال ثلاثة عناصر على المنطق السائد في تحليلها، هي: أهمية الوقت في انتشار الابتكارات، الطبيعة المتعددة الأبعاد لمبدأ النفاذ وأخيراً، اللاتوازن في توافر المعلومات. ولعلّ هذه العناصر، مجتمعة، تسهم في إعادة تعريف الهوة الرقمية.

ثمة ابتكارات تأتي وسرعان ما تغزو العالم (كبطاقات بوكيمون Pokemon). لكن معظمها يخضع لدورة بطيئة نسبياً من التطوّر والانتشار في المجتمع. وفي كل مرحلة، تحظى نسبة معيّنة من السكان بامتياز اقتناء «ابتكار» جديد ما، فتستخدمه وتمتلك مهاراته. فالوقت، إذاً، يُعدّ عنصراً حاسماً في انتشار الابتكارات.

وتتمثّل دورات انتشار الابتكارات السابقة (كالهاتف والراديو والتلفزيون...) في اعتماد مجموعات مختلفة من السكان إياها، مع مرور الزمن. وصنّفت تلك المجموعات كالآتي: المبتكرون، المستخدمون الأوائل، الغالبية المبكّرة، الغالبية المتأخّرة، المتخلّفون. وتقول هذه النظرية إن الابتكارات تنتشر في المجتمع بدءاً من مجموعة صغيرة من المبتكرين، وما أن تصل إلى مجموعة حيوية حتى تتسرّب إلى كل طبقات المجتمع لتبلغ نقطة «تشبّع» تؤدي الجودة فيها دوراً حاسماً.

وقد تطول دورة انتشار بعض الابتكارات (كالهاتف الذي استغرق وصوله إلى ٧٥ في المئة من المنازل نحو ٦٧ سنة) وتقصر في ابتكارات أخرى (كالتلفزيون الذي استغرق انتشاره نحو ٧ سنوات). أما انتشار طريق المعلومات السريع فبدأ ببطء. ففي حين كانت البنية التحتية الأساسية متوافرة، كان المستخدم يفتقد الأدوات السهلة الاستعمال، مع غياب شركات تزويد الخدمات. إلاّ أن هذه الحال سرعان ما تبدّلت.

هناك أكثر من بعد للنفاذ إلى الإنترنت. فالتكنولوجيا الجديدة هي تكنولوجيا معلومات، وبالتالي فهي تستدعي، إلى المعرفة والعلم التقليديين، مهارة أساسية جديدة للتفاعل والتعامل معها، تأتي تحت عنوان «ثقافة المعلومات» informacy. وتعوّل هذه الثقافة أو المعرفة الجديدة على مهارات في استخدام الأدوات ومهارات في تناول أنساق جديدة لتبادل المعلومات وأيضاً على مهارات «استراتيجية» تتعلّق بالبحث عن المعلومات ومعالجتها كأساس للتخطيط واتخاذ القرارات. أما بالنسبة إلى اللاتوازن في توافر المعلومات، فلا يمكن تقليص الهوة الرقمية إلى مسألة إمكان النفاذ إلى طريق المعلومات السريع أو عدمه. ويجب أخذ الفروقات في تزويد المعلومات أيضاً في الحسبان.

فالإنترنت باتت تقدّم كميات كبيرة ومتنوّعة من المعلومات. إلاّ أن لا كميتها ولا تنوّعها يجعلانها معلومات أفضل. ومع أن كل البيانات التي تسري في الإنترنت تعامَل بالتساوي، فلو أمكننا التفريق في ما بينها، وتمييز المحتويات الإباحية أو العنفية عن باقي المحتويات، لتكوّنت لدينا صورة مختلفة، ولفقدت الإنترنت بعضاً من جاذبيتها.

ولا يختلف هذا الأمر عن التلفزيون الذي بدأ منصة تربوية وتثقيفية تمهّد لقيام «مجتمع متعلّم»، فأتت محتويات الشاشات الصغيرة راهناً لتثبط حال التفاؤل تلك.

إلاّ أن أبرز العوامل التي تعزز اللامساواة في المعلومات المتوافرة، عدم توجّهها إلى الشرائح الاجتماعية – الاقتصادية بمقدار اختلاف تلك الشرائح. فهناك نقص في المعلومات الخاصة بالمجتمعات المحلية، وعوائق الجهل بأنساق توضيب المعلومات وعائق اللغة (الإنكليزية هي اللغة السائدة في الشبكة بنسبة ٨٧ في المئة)، فضلاً عن النقص في التنوّع الثقافي.

هل تخفّ حدة اللامساواة بزيادة نسبة النفاذ؟ ومتى نصبح راضين عن انتشار النفاذ وتوزيعه الاجتماعي؟ ومتى تصبح الهوة الرقمية مُقلقة فعلاً؟ وهل يتيح المجتمع للمواطنين الاختيار بين الاتصال وعدم الاتصال (كما هي الحال في الاختيار بين مشاهدة التلفزيون وعدمها)، أم سيكون لهذا الاختيار عواقب وخيمة (كما هي الحال في الاختيار بين فتح حساب مصرفي وعدمه)؟ وينبغي التفريق بين المجموعات التي لا ترغب في الاتصال عن علم ودراية، وتلك التي لا ترغب فيه عن عدم وعي أو بسبب عوائق بنيوية (مالية ومهارات وغير ذلك). العنوان على الانترنت:

http://www.steyeart.org

البروفسور يان ستييارت
جامعة «فونتيز» – هولندا
ترجمة: زكي محفوض
zmahfoud@alhayat.com

معاناة الأولاد من الإفراط في استخدام الكومبيوتر وهواياته

□ في حين شرع الغرب في تلمّس المشكلات الناتجة عن كثرة استخدام الأولاد الكومبيوتر واستدراكها، لا يمكننا نحن الأخذ بالمسبّبات، كما هي مطروحة هناك، لاتّخاذ أي موقف حاسم، إيجابياً كان أم سلبياً، من هذه المسألة التي تبقى، في جوهرها، نسبية.

■ لكي تُطرح هذه المشكلة على بساط البحث، لا بد من دعمها، كأي مشكلة أخرى، بالوقائع والبراهين. وهذه ليست متوافرة في الدول النامية ، ربما لأن المشكلة لم تعتمل بعد في مجتمعاتها، وبالتالي لم تتشكّل معطياتها، أو لحال «التطنيش» التي كثيراً ما تصيب الاختصاصيين لدينا، حيال مختلف المواضيع «الخفيفة» قياساً إلى القضايا السياسية.

إلا أن القواسم المشتركة لدى المربّين، في غير بلد ومنطقة، تتمثّل في تأثيرات إفراط الأولاد في استخدام الكومبيوتر في سلوكهم، لجهة التعب والاجهاد في وقت مبكر، وأيضاً «البرودة العاطفية» الناجمة عن العزلة التي يعيشها الولد «المقيم» أمام الشاشة.

ويترافق خوف المربّين من هذه الآثار مع ارتيابهم من المحتويات المؤذية التي قد يصادفها الأولاد في ألعابهم الإلكترونية والإنترنت، فضلاً عن الاتصالات غير المستحبّة ، عبر البريد الإلكتروني أو غرف الدردشة وجلسات المناقشة.

من هنا ضرورة اطّلاع الأهل على مجريات الأمور، و كذلك حضهم على الانفتاح على التقنية المعلوماتية كي يتسنّى لهم التفاعل الايجابي مع الاجيال الصاعدة .

وعرضت شبكة "سي ان ان"، في موقعها على الانترنت ، تقريرا يظهر تحفظ بعض الخبراء حيال المبالغة في الإصرار على تسليح الأولاد الصغار للمستقبل التكنولوجي ، لان ذلك يفضي الى قضاء الاطفال اوقاتا طويلة أمام الشاشات الافتراضية ، في عمر مبكّر.

أما الآراء ففي اتجاهين متنافرين. الاتجاه الأول، وتدعمه مؤسسة «كومبيوتر توتس»Computer Tots يضع ثقته المطلقة بالأولاد. فهم «يتعلّمون سريعاً. والأفضل لهم أن يلحقوا باكراً بالركب الجديد. وهم يعرفون ماذا يفعلون».

أما الاتجاه المعاكس، الذي تدعمه مؤسسة «الاينس فور تشايلدهوود» Alliance for Childhood، فيشكك في قدرة الكومبيوتر على حلّ المشكلات التربوية والتعليمية وفي تعجيل النمو الذهني لدى الأولاد. ويذهب إلى حد الدعوة إلى «التعليق الفوري لتقديم الكومبيوترات إلى الطفولة المبكرة وادخاله في المرحلة الإعدادية».

وتستند هذه المعارضة إلى آراء الباحثين القائلة إن تمضية وقت طويل أمام الشاشة قد تسبب إجهاداً مبكراً للعين وتؤذيها، وقد تؤدّي إلى برودة عاطفية.

ويستعر النقاش، أكثر فأكثر، في شأن المبالغ التي ينبغي للمدارس أن تصرفها على التعليم بواسطة الوسائل التكنولوجية المتطوّرة، علماً أن في بعضها يستخدم التلامذة الكومبيوترات منذ صفوف الحضانة. وفي الصف الرابع يصبح على مكتب كل تلميذ كومبيوتر محمول.

وثمة أطباء نفسيون يرون أن على المربين والأهل وضع إرشادات وتوجيهات عملية. فلا يتجاوز الاستخدام نصف ساعة في اليوم للأطفال، على أن يتزايد هذا المعدّل مع العمر، تماشياً مع متطلبات العصر، ومنح الأولاد حق تعلّم المهارات المطلوبة.

تخلف العرب في الهوة التقنية

قمر اصطناعي إسرائيلي للصور الرقمية

■ مطلع العام الجاري، نجحت شركة «إيمج سات» ImageSat العالمية في إطلاق قمر اصطناعي خفيف الوزن من المركز الفضائي الروسي في سيبيريا، هو الأول من مجموعة مؤلفة من ثمانية أقمار اصطناعية تعتزم وضعها في مدار الأرض.

ويزن القمر «إيروس آي ١» Eros A1، الذي صنعته شركة «صناعات المركبات الجوية الإسرائيلية»، ٢٥٠ كيلوغراماً. وهو مجهّز بكاميرات تنتج صوراً قياسية يصل مقدار نقائها إلى متر واحد.

ولأن وزنه أقل من نصف وزن الأقمار التجارية الأخرى، يحمل «إيروس آي ١» كمية من الوقود تكفيه ليبقى في المدار، وعلى ارتفاع ٤٨٠ كيلومتراً، ست سنوات على الأقل.

وتأمل الشركة أن تزوّدها المجموعة، التي سيكتمل نشرها عام ٢٠٠٥، معلومات دورية ومنتظمة عن مناطق مختلفة من العالم، فتطلع أصحاب القرار على آخر المعلومات.

وباشرت الشركة بيع وقت الرصد والبيانات الخام التي تجمعها تلك الأقمار. وحتى الآن تجمّع لديها طلبات آجلة بقيمة ٣٠٠ مليون دولار.

ويمكن الحكومات التي تسعى إلى تجميع معلومات استخباراتية أن تشتري خمس دقائق في اليوم على القمر الاصطناعي، وأن تطلب صوراً يومياً عن منطقة محددة وفي وقت محدد. وتستطيع شركات البُنى التحتية شراء صور يتم إنزالها على ١٤ محطة أرضية موجودة في الأرجنتين وإيطاليا وتايوان واليابان وكوريا والسويد وكندا وجنوب أفريقيا.

وتفيد من الصور شركات الاتصالات الخلوية التي تبحث عن مواقع مثلى تركّز فيها هوائياتها للحصول على أفضل بث وإرسال. كذلك، تستخدم شركات التأمين الصور لتخمين الأضرار الناجمة عن الكوارث الطبيعية.

ويُتوقّع أن تنمو سوق الصور العالية النقاء إلى ٦ بلايين دولار بحلول عام ٢٠٠٥، مع العلم أن الأرقام، راهناً، تبلغ بليوني دولار.

موقع عملاق البرمجيات

مايكروسوفت: استخدام البساطة والوضوح

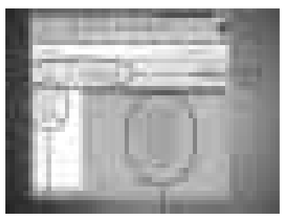

مايكروسوفت شركة معروفة ومنتوجاتها منتشرة في كل مكان مادي ورقمي (منزل، مدرسة، مؤسسة، إذاعة، تلفزيون، كومبيوتر، هاتف محمول، شبكة خاصة وإنترنت)، وستبقى مرموقة على رغم الأحداث القانونية التي تعصف بها وتنذر بتفتيتها.

أما الحديث عن موقعها على شبكة «ويب» فيتجاوز السرد التقليدي لأجزائه المكوّنة وحسن تصميمه وواجهته الأنيقة وسهولة التنقّل في أرجائه، إلى وظيفته الحقيقية.

بسيط موقع مايكروسوفت في تركيبه وصريح. فلكل متعامل مع الشركة قسم خاص ظاهر في صفحة الاستقبال: عائلات المنتوجات وأدوات المطوّرين، وخدمات «ويب»، وبينها وصلة بشبكة مايكروسوفت msm.com (عالم قائم بذاته)، وقسم للزبائن والعملاء، وقسم الموارد حيث التسوّق وكتب «مايكروسوفت برس» والوظائف والأخبار (الكثير منها).

ويتصدّر صفحة الاستقبال آخر ما توصّلت إليه الشركة من منتوجات، إضافة إلى أخبار اليوم. وفي رأسها شريط رفيع أزرق يحمل وصلات بأهم أحداث مايكروسوفت ودوراتها التدريبية ومواقع الشركة حول العالم، ووسيلة الاتصال بها بالبريد الإلكتروني طلباً للدعم الفني أو للاستفسار عن أي شيء. وثمة حيّز للبحث في محتويات الموقع.

يتكرّر المشهد عند فتح الصفحات الأخرى مع تبدّل طفيف في الألوان وتغيير جذري في المضمون.

إلا أننا نلفت القارئ إلى ما يقع في طيّات الموقع وباطنه. فهو يشكّل مختبراً أو حقل تجارب لمنتوجات مايكروسوفت، لأنه أساساً مكوّن منها. وأي هنة أو خطأ أو عطل يطرأ عليه يكون سببه علّة في منتوج الشركة الذي يتولّى تنفيذ مهمات معيّنة (أكان الخادم أم قاعدة البيانات أم البرنامج أم الواجهة...)، إلاّ إذا كان العطل في جهازك أو خط الاتصال.

ومنذ إطلاق موقع microsoft.com، عام ١٩٩٤، كان مصمّماً لمساعدة الزبائن على حل مشكلاتهم التقنية فوراً وسريعاً. ووُضعت لهذا الغرض ثلاثة خوادم لتنظيم حركة مرور الزوّار.

ولمّا انطلقت الإنترنت شرعت مجموعات مايكروسوفت المختلفة في إضافة المحتويات إلى الموقع. وعام ١٩٩٦، قفز عدد الصفحات المقروءة من ١١٨ مليوناً في كانون الثاني (يناير) إلى بليونين في كانون الاول (ديسمبر). وازدادت حركة المرور في الموقع بنسبة ٩٠ في المئة خلال الأشهر الستة الأخيرة من العام نفسه.

واليوم بات موقع مايكروسوفت أحد أكبر المواقع التجارية وأعقدها في «ويب». وأصبح يشكّل أهم وسيلة تسويق للشركة.

ز.م.

زورق الإنترنت الماليزي يجوب جزيرة "بورنيو"

■ رويترز – كوالالمبور – تخوض ماليزيا أول تجربة للإبحار في الإنترنت عبر الماء، عندما تطلق، العام المقبل، زورق إنترنت لنقل معارف تكنولوجيا المعلومات إلى سكان القرى النائية والمعزولة، في جزيرة بورنيو.

وسيجوب الزورق الغابة المتاخمة لنهر «راجانغ» في إقليم ساروك، متوقّفاً عند القرى كل بضع ساعات لتعليم سكانها طريقة استخدام الكومبيوتر والإبحار في الشبكة.

والغرض من هذه التجربة تقديم تكنولوجيا المعلومات إلى المجتمعات هناك لتكون مستعدة لها، قبل إنشاء البنية التحتية خلال السنوات المقبلة.

أما الهدف الثاني فلمعرفة هل يمكن سكان المناطق النائية استخدام التكنولوجيات السلكية للتنمية الاجتماعية، خصوصاً للحد من هجرة الشباب نحو المدن بحثاً عن عمل.

وسيكون الطلاب المستخدمون الرئيسيون للزورق، البالغة كلفته ٢٦٣ مليون دولار، والذي سيجوب النهر حاملاً ٢٠ كومبيوتراً مشبوكة بعضها ببعض، ومتّصلة بالإنترنت. كذلك، أُعدّت مناهج ومقررات خاصة لتعليم الطلاب.

وسبق لماليزيا أن أطلقت، عام ١٩٩٩، «وحدة الإنترنت المحمولة». وكانت عبارة عن حافلة حوّلت مختبر كومبيوتر/إنترنت نقّالاً. وجابت المدارس الريفية قرب العاصمة كوالالمبور، وقدّمت الطلاب إلى عالم الكمبيوتر والإنترنت.

أما الصف العائم فيُعدّ محاولة لردم «الهوة الرقمية» في ماليزيا بين الملمين بتكنولوجيا المعلومات وجاهليها.

وإلى ردم الفجوة المعرفية، يؤمل أن تنجح هذه المبادرة في زيادة عدد مستخدمي الإنترنت. وتبلغ نسبة روّاد الإنترنت في ماليزيا ٩ في المئة من مجموع عدد السكان، في حين وصلت النسبة في سنغافورة، جارتها، نحو ٣٠ في المئة.

الكومبيوتر لا يحل مشكلات العالم

بيل غايتس يسأل: كيف نبيع التكنولوجيا للفقراء جداً؟

الهوة الرقمية بين الشمال والجنوب، الهوة الرقمية بين الريف والمدينة، الهوة الرقمية بين الفقراء والأغنياء... «الهوة الرقمية» عنوان شبه مشترك لعدد من المؤتمرات الدولية، ومنها قمة الدول الصناعية التي عقدت نهاية تموز (يوليو) الماضي في أوكيناوا، وانتهت بشعار «الإنترنت للجميع».

■ في خضم الكتابات المرحبة بهذا الشعار، والتحليلات في شأن جدواه وضرورته، والآراء التي تناولت فوائده، من مثل أنه يعكس بداية اهتمام الدول الكبرى جدياً بالدول الفقيرة... أجرت صحيفة «لوموند» الفرنسية، في صفحة «آفاق»، مقابلة مع طبيب إفريقي، استغرب فيها هذا الاهتمام بالدول الفقيرة، سائلاً عن فائدة نشر استخدام الإنترنت، في وقت ترتفع نسبة الوفيات في الدول الفقيرة، وتتزايد أعداد الذين يعيشون تحت خط الفقر، ويزيد أيضاً انتشار الأمراض المعدية والخطيرة. وأسهب في تعداد مشكلات الدول الإفريقية، متوقفاً مرات عدة، وباستهزاء، عند سؤال عن الغاية من إصرار رؤساء الدول الذين التقوا في أوكيناوا فقط على ردم الهوة التكنولوجية بين دول العالم .

بالطبع لم يجد الطبيب آذاناً صاغية في حينه، ولم تنشر مقالات للرد على أسئلته التي طرحها في نهاية تموز الماضي. لم يجبه أحد من فرنسا، ولا من أي دولة أخرى، لكنه قد يفرح كثيراً حين يكتشف أن من شاركه آراءه ليس سياسياً أو مهتماً بشؤون العالم الثالث، ولا مجرد إنسان قلق من التطور التكنولوجي، بل هو – وبكل بساطة – بيل غايتس نفسه.

ففي مقال نشرته الصحيفة الأميركية «هيرالد تريبيون» عن مؤتمر «إنشاء الوسائل الرقمية»، نقلت مداخلة غايتس الذي فاجأ جمهور المؤتمر والمحاضرين والمنظمين بسؤاله: «هل يعرف الناس حقاً ما معنى ألا يتعدى دخل الفرد دولاراً في اليوم؟»، وهو لم تصل إلى منزله الكهرباء. وأضاف باستهزاء:«... ولن يستطيع بالطبع الارتباط بنظام الطاقة الشمسية. بهذا الدخل يبحث الإنسان فقط عما يأكله، وعن مقومات العيش والاستمرار في الحياة».

لم تمر تصريحات غايتس هذه «مرور الكرام »، فرد عليها كثيرون، وتعجب لها كثيرون، وطرح الخبراء والمراقبون أسئلة عن هدفه منها. وبالطبع سارع الصحافيون إلى لقائه ليطرحوا سؤالاً واحداً: «لماذا هذا التحول يا مستر غايتس؟». وفي إحدى المقابلات قال لمحاوره: « تخيل أسرة إفريقية فقيرة جداً تتلقى حاسوباً هدية. ستسير الأم نحوه وتسأله بكل براءة: أولادي يموتون جوعاً، ماذا يمكن أن تفعل لهم؟ لن تبحث هذه السيدة بالطبع كيف ترتبط بالتكنولوجيا، ما تريده لأبنائها هو أن يعيشوا، وألا يموتوا، هذا فقط ما تتمناه لهم ».

وأعلن غايتس أنه يفهم الآن جيداً أن المجتمعات الفقيرة جداً (حيث دخل الفرد بضعة دولارات) لن تشكل سوقاً مستهلكة للأدوات التكنولوجية في الأمد القريب، «وهذا يعني ضرورة العمل لمساعدة الأكثر فقراً في العالم». وذهب بعيداً في طوباويته الجديدة إذ بدا (كما وُصف في «هيرالد تريبيون») كأنه يحدد لنفسه واجباً جديداً حيال المجتمع البشري، واعترف بأنه كان ساذجاً – بل ساذجاً جداً كما يقول – عندما بدأ محاولته الخيرية قبل ستة أعوام، حين كان يأمل بأن يقدم شيئاً من خلال هذا المشروع الذي تضمن توزيع حواسيب وأدوات تكنولوجية. وأكد بجدية وصرامة أن أولوياته تغيرت، وأن اتجاهاته تركز على المسائل الصحية في الدرجة الأولى، وسيهتم من خلال المؤسسة الخيرية التي أسسها وزوجته ميليندا بتطوير اللقاحات وتوزيعها. وذكّر بما قاله في المؤتمر، إن الأكثر فقراً في العالم يحتاجون الى الاهتمام الصحي فلا يتطلعون إلى الإنترنت اللاسلكي أو إلى أدوات التكنولوجيا الأخرى.

آراء غايتس هذه أثارت ردود فعل متعددة، ومن الذين علقوا عليها عاملون في مؤسسته. فقال رئيس مكتب الأبحاث في شركة «سان مايكروسوفت» جون غايج إن للإنسان حاجات أساسية تتعدى المأكل والمشرب، هي حاجات نفسية كالثقة بالذات وبمقدرات كل فرد، واتاحة فرص التعبير للجميع، وليأتي الكومبيوتر وسيلة أساسية لتلبية هذه الحاجات. ولفت إلى أن أسعار استخدام الهاتف النقال والإنترنت وغيرهما في انخفاض مستمر، ما يعني أنها ستصير في متناول الجميع.

«غايتس على حق، وهو مخطئ في الوقت نفسه» على ما قال مدير «جيو بارتنرز ريسرش» جايمس مور في رد أقل حدة من موقف غايج. وقد وافقه في اعتباره أمور الصحة والجوع أكثر أهمية من القضايا التكنولوجية، لكنه لفت إلى ضرورة اعتماد سياسة تسويقية تتناسب والوضع الإقتصادي في دول العالم الثالث.

هل غايتس على حق أم هو مخطئ ؟ يبدو هذا السؤال ساذجاً نوعاً ما. فكيف نسأل من لا يملك قوت يومه عن فوائد استخدام الكومبيوتر؟ لكن التساؤل يرتكز على تحول غايتس، إذا جاز التعبير: هل اكتشف (بحسب بعض الخبراء) خطأ إيمانه بقدرة الرأسمالية الشمولية على حل مشكلات الأكثر فقراً في العالم ؟

هل يريد بيل غايتس أن يمحو صورته كمستثمر لا يكترث إلا لحسابات الربح والخسارة؟ أم هو اكتشف فعلاً أولويات الاستمرار عند بعض الشعوب؟ إذ يقول: «أنا واحد من أشد المؤمنين بأهمية التكنولوجيا الرقمية وبما يمكن أن تقدمه لتطور المجتمع البشري. أنا واحد من أشد المؤمنين بقوى السوق، لكن هذين العاملين لا يحلان مشكلات ملايين من البشر».

هل اصطدم المؤسس الاسطوري لـ"مايكروسوفت" مع الحقائق الصلبة ؟

بيسان طي
bissan@alhayat.com